الكتاب السابع (٧)

من

الجامع لكتب الإمام أبي بكر الآجري رحمه الله

أدب النفوس

تأليف

أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرّي

تحقيق

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فهذا هو الكتاب السابع من «**الجامع لكتب الإمام أبي بكر الآجري** رَحِمَهُ اللَّهُ»، وهو جزء لطيف في **تزكية النفوس** وتربيتها ورياضتها على الأخلاق الحميدة، والآداب الزاكية الرفيعة.

بيَّن فيه المُصنِّف أن النفس في القرآن لها عدة أقسام، منها النفس اللوَّامة، والنفس الأمَّارة بالسوء.

ثم ذكر تحذير ربنا عَزَّوَجَلَّ لنا من اتباع ما تهوى النفس وتلذّ، وأنها سبب في الهلاك والخسارة، وبيَّن صفات النفس القبيحة التي يجب الحذر منها.

ثم بيَّن كيف تكون مجاهدة النفس وسياستها ورياضتها حتى تتخلّص من قبائحها.

ومما بين أيدينا من بقايا أبواب هذا الكتاب:

١ ـ ذكر الحذر من النفوس.

٢ ـ ذكر أدب النفوس.

وقد وقفت على بعض النصوص والآثار في هذا الباب من طريق المصنف فجمعتها وذيلت بها هذا الجزء.



اللهم أعن

١ ـ ذكرُ الحذرِ من النفس

قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله:

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، والحمد لله على كلِّ حالٍ، وصلى الله على محمدٍ النبي وعلى آله أجمعين، وبالله أستعين.

أما بعد؛

وفقنا الله وإياكم للرَّشاد من القول والعمل، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه سميعٌ قريب.

١ ـ اعلموا أن الله جلَّ ذكره ذكر النفس في غير موضعٍ من كتابه، مُنبِّهًا[(١)] بمعانٍ كثيرة، كلها تدلُّ على الحذر من النفس.

أخبرنا مولانا الكريم أنها تَميلُ إلى ما تهواه مما لها فيه من اللَّذة، وقد علمتْ أنها قد نُهيتْ عنه.

ثم أعلمنا مولانا الكريم أنه من نهى نفسه عما تهوى فإن الجنة مأواه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] [٢/ب].

---

(١) في الأصل: (مُنبه).

. . . فإن كان الله تعالى قد نهى عنه؛ انزجر عنه، فإن تابعته نفسه إلى ما زجرها عنه، فليعلم أنه من الله عَزَّوَجَلَّ ببالٍ، وأن هذه نفسٌ مرحومة، فليشكر الله الكريم على ذلك(١).

ألم تسمعوا ـ رحمكم الله ـ إلى ما أخبركم مولاكم الكريم عن نبيٍّ من أنبيائه، وهو يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف](٢).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٢٥): اتفق السالكون إلى الله ـ على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم ـ على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يُدخَلُ عليه سبحانه ولا يُوصل إليه إلَّا بعد تركها، وإماتتها بمخالفتها، والظفر بها.

فإن الناس على قسمين:

١ ـ قسمٌ ظفرت به نفسه؛ فملكته وأهلكتْه، وصار طوعًا لها تحت أوامرها.

٢ ـ وقسمٌ ظفروا بنفوسهم؛ فقهروها، فصارت طوعًا لهم، مُنقادةً لأوامرهم.

كما قال بعض العارفين: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم، فمن ظَفِر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ الآيات.

فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو العبد إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة، وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء. اهـ.

(٢) نسب المُصنِّف هذا القول إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعليه عامة السلف من المُفسِّرين، وهو مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن أبي الهذيل، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي.

ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم رحمهما الله قولًا غيره في هذه الآية.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾، قال =

يقال: إن النفس [ا]لأمارة المرحومة هي: المعصومة التي عصمها الله عز وجل.

ثم اعلموا - رحمكم الله - أن النفس إذا ركبتْ ما تهوى مما قد نُهيت عنه، فإنها ستلوم صاحبها يوم القيامة، تقول: لم فعلتَ؟ لم قصَّرتَ؟ لم بلَّغتني ما أُحِبُّ وقد علمتَ أن فيه عَطبي؟!

ألم تسمعوا - رحمكم الله - إلى قول الله عز وجل: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة] الآية[1].

فالواجب على من سَمِعَ هذا من الله عز وجل أن يحذر من نفسه أشدَّ حذرًا من عدوٍّ يُريد قتله، أو أخذَ ماله، أو انتهاك عِرضه.

٢ - فإن قال قائل:

لِمَ ألزمتني هذا الحذر من النفسِ حتى جعلته أشدَّ حالًا من عدوٍّ قد تبينت عداوته؟!

قيل له:

إن عدوَّك الذي يُريد قتلك، أو أخذ مالك، أو انتهاك عِرضك، إن ظفِرَ منك بما يؤمله منك فإن الله عز وجل يُكفِّر عنك به [٣/أ] السيئات، ويرفع لك به الدرجات، وليس النفس كذلك؛ لأن النفس إن ظفِرت منك بما تهوى مما قد نُهيت عنه، كان فيه هلكتك في الدنيا والآخرة؛ أما في

= يوسف ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾، قال: فقال له جبريل عليه السلام: ولا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

(١) في «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٤) عن الحسن: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، قال: لا يلقى المؤمن إلَّا يُعاتب نفسه؛ ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والعاجز يمضي قُدمًا لا يُعاتب نفسه.

الدنيا: فالفضيحة مع شدِّة العقوبة، وسوء المنزلة عند الله عَزَّوَجَلَّ، مع سوء المُنقلب في الآخرة.

فالعاقل ـ يرحمكم الله ـ يُلزم نفسه الحذرَ والجهاد لها أشدَّ من مُجاهدة الأقران ممن يُريدُ ماله ونفسه، فجاهدها عند الرضا والغضب[(١)].

وكذا أدَّبنا نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير حديثٍ بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المجاهد: من جاهد نفسه في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ**».

٣ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: ثنا المسيب بن واضح، قال: ثنا ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، عن أبي هانئ الخولاني، عن عَمرو بن مالك، عن فَضالة بن عُبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**المُجاهد: من جاهد نفسه في الله عَزَّوَجَلَّ**»[(٢)].

٤ ـ أخبرنا محمد بن الحسين، وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المَروزي، أنبأ ابن المبارك، ثنا الليث بن سعد، حدثني أبو هانئ الخولاني، عن عَمرو بن مالك الجنبي، حدثني فَضالة بن عُبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَجَّة الوداع: «**ألا أخبرك بالمؤمن؟ من أَمِنه الناس على أموالهم، والمسلم: من سلم الناس من لسانه، والمجاهد: من جاهد نفسه في**

---

(١) انظر كتاب «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا: (باب جهاد النفس ومنعها من شهواتها).

ـ وفيه (٦٢) عن حنان بن خارجة، قال: قلت لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كيف تقول في الجهاد والغزو؟ قال: ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها، فإنك إن قُتلت فارًّا؛ بعثك الله فارًّا، وإن قُتلت مُرائيًا؛ بعثك الله مرائيًا، وإن قُتِلت صابرًا مُحتسبًا؛ بعثك الله صابرًا محتسبًا.

(٢) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣٩) من طريق المصنف.

رواه أحمد (٢٣٩٥١)، والترمذي (١٦٢١)، وقال: وفي الباب عن عقبة بن عامر، وجابر، وحديث فضالة حديث حسن صحيح. اهـ.

طاعة الله عز وجل، والمُهاجر: من هجر الذنوب والخطايا»(١).

٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر، قال: وحدثنا الفريابي، ثنا [٣/ب] محمد بن المثنى، ثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن حُميد بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليس الشديدُ بالصُّرعةِ**».

قالوا: ما الشديدُ؟

قال: «**الذي يملك نفسَه عندَ الغضبِ**»(٢).

٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا يعقوب الدورقي، ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن سعيد بن المُسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ليسَ الشديدُ بالصُّرعةِ؛ ولكن الشديدَ الذي يملِكُ نفسَه عند الغضَبِ**»(٣).

٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر، وثنا أبو محمد بن صاعد، ثنا محمد بن حبيب لُوَيْن المِصِّيصي، ثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشديدَ ليس الذي يغلبُ الناس؛ ولكن الشديدَ مَن غَلبَ نفسَه**»(٤).

٨ ـ **فإن قال قائل:**

فعلى ما أُجاهدُ نفسي حتى أغلبَها؟

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨)، وابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٨٢٦)، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه معمر في «جامعه» (٢٠٢٨٧/ المصنف)، وأحمد (٧٦٤٠)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) رواه مالك (٢٦٣٧)، وأحمد (٧٢١٩)، والبخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠١٥٦)، وهناد في «الزهد» (١٣٠٢)، وهو حديث صحيح.

قيل له: تجاهدها حتى تلزمها أداء فرائض الله عَزَّوَجَلَّ، وتنتهي عن معاصيه.

٩ ـ فإن قال:

صف لي من أخلاقها التي تميل إليه مما لا يَحسن حتى أحذرها، وأمقتها، وأجاهدها إذا علمتُ أن فيها شيئًا من تلك الخصال.

قيل له:

إن النفسَ أهلٌ أن تُمقت في الله عَزَّوَجَلَّ، ومن مقت نفسه في ذات الله عَزَّوَجَلَّ رجوت أن يؤمِّنه الله عَزَّوَجَلَّ من مقته، كذا رُوي عن الفُضيل بن عياضٍ.

١٠ ـ أخبرنا أبو بكر [٤/أ]، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين(١) بن محمد بن عفير الأنصاري، ثنا عبد الصمد بن محمد العبَّاداني، ثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفُضيل بن عِياض يقول: من مقتَ نفسَه في ذات الله عَزَّوَجَلَّ؛ أَمَّنه اللهُ عَزَّوَجَلَّ من مقتِه.

قال أبو بكر:

١١ ـ فإن قال قائل:

فبيِّن لي أخلاقها القبيحة.

قيل له:

هي الأخلاق التي قد استوطنتها النفس، وليس تُحبّ مُفارقتها، وهي أخلاق كثيرة إذا تصفَّح الإنسان نفسه وجدها كذلك.

• فإنها نفسٌ مُتَّبعةٌ للهوى.

---

(١) في الأصل: (الحسن)، وما أثبته من ترجمته من «تاريخ بغداد» (٤١٤٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٠٤).

- مُنهمكةٌ في لذَّةِ الدنيا.
- باسطةٌ لطول أمل عن قليلٍ ينقضى.
- قليلة الأكتراث لأجلٍ لا بُدَّ أن يَغشى.
- راغبة في حبِّ دنيا إذا أحبها قلب عبدٍ قسى.
- زاهدةٌ في دار نعيمُها لا يَفنى.
- مُحبةٌ لأخلاقٍ تعلم أنها مُضرَّةٌ بها غدًا.
- ضاحكةٌ مُستبشرةٌ ناعمة بما عنه مَولاها نهى.
- نفسٌ تحزنُ على ما لم يجرِ لها به المقدور مما أمَّلته من الدنيا صباحها والمسا.
- نَفْسٌ يخفُّ عليها السعي والكدُّ في طلب الدنيا.
- نَفْسٌ تَلذُّ بالفتورِ عن الخيرِ الذي إليه مولاها دعا.
- نفسٌ تَهمُّ بالنفقة في طاعة الله، فيُوعدُها الشيطانُ الفقر، فتميلُ إلى ما إليه دعا.
- نفسٌ وعدها الله المغفرة والفضل فلم تثِق ولم ترض.
- نفسٌ تثق بوعدِ مخلوقٍ، وعند وعد[1] مولاها تتلكَّا.
- نفسٌ تُرضي المخلوقين بسخط ربها، وعن رضا مولاها تتوانا.
- نفسٌ ندبها الله إلى الصبر عند [٤/ب] المصائب تعزية منه لها، فلا تقبل العزا.
- نفسٌ تتصنَّعُ للمخلوقين بوفاء الوعد، وفيما عَهِدَ الله الكريم إليها قليلة الوفا.

(١) في الأصل: (وعيد)، والصواب ما أثبته.

• نفسٌ تتركُ المعاصي بعد القدرة عليها حياءً من المخلوقين، وعند نظر الله العظيم إليها قليلة الحيا.

• نفسٌ قليلةُ الشُّكر لله الكريم على نِعَم لا تُحصى.

• نفسٌ تستعين بنعم الله الكريم على معاصيه في صباحها والمسا.

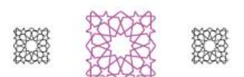
• نفسٌ يخفُّ عليها مجالسة البطَّالين، ويثقل عليها مُجالسة العُلما.

• نفسٌ تُطيع الغاشَّ، وتعصي أنصح النُّصحا.

• نفسٌ تُسارع فيما تهوى، وهي تتعلَّل بالتسويف للتوبة اليوم وغدا[١].

قال أبو بكر محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من عرف من نفسه هذه الأخلاق وغيرها؛ سارعَ إلى رياضتها بحُسن الأدب لها؛ ليرُدَّها إلى ما هو أولى بها من تقوى الله عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلانية، بالندم الشديد، والنزوع من قبيح ما صحَّ عنده من هذه الأخلاق إن [كان] فيه شيءٌ منها، وإصلاح ما يستأنفه في طول عُمره، والله عَزَّوَجَلَّ الموفق لذلك.



(١) سيُكمل المصنف في الفقرة (١٩) كذلك بعض أخلاق وصفات النفس القبيحة التي يجب على المسلم الحذر منها.

٢ ـ ذكر أدب النفوس

قال أبو بكر:

١٢ ـ **فإن قال قائل:** ما دلَّ على تأديب النفس؟

قيل له: القرآن، والسُّنة، وقول عُلماء المسلمين. [٥/أ]

فإن قال: فاذكره؟

قيل: نعم إن شاء الله.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

قلت: فمن سَمِعَ هذا وجب عليه أن يطلب عِلمَ هذا، ولا يغفل عنه.

فإن قال: فاذكر معنى ما يقي به الإنسان نفسه وأهله من النار.

قيل: نعم.

١٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود السِّجستاني، حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم، عن أبيه، عن نَهشل، عن الضحَّاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال: يكون الرجل المسلم في أهل البيت، فيعمل بالأعمال الصالحة، يُصلّي فيصلون، ويصوم فيصومون، ويتصدَّق فيتصدَّقون، فذلك قوله عز وجل: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1].

---

(١) في إسناده: نهشل بن سعيد بن وردان؛ كذَّبه إسحاق، وقال النسائي: متروك الحديث. =

١٤ ـ أخبرنا أبو بكر، وثنا ابن أبي داود، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، يقول: اعملوا بطاعة الله عز وجل، واتقوا معاصي الله عز وجل، ومروا أهليكم بالذِّكر؛ ينجيكم من النار.

١٥ ـ أخبرنا أبو بكر، وثنا ابن أبي داود، ثنا حم بن نوح، ثنا أبو معاذ، ثنا أبو مصلح، عن الضحَّاك في قول الله عز وجل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، يقول: اعملوا بطاعتي، وتعلَّموا، وعلِّموا أهليكم ما افترضتُ عليكم وعليهم.

١٦ ـ أخبرنا أبو بكر، وثنا ابن أبي داود [٥/ب]، ثنا الحسين بن علي بن مهران، ثنا عامر بن الفُرات، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، قال: أدبوا أنفسكم وأهليكم على أمر الله عز وجل.

١٧ ـ أخبرنا أبو بكر، وثنا ابن أبي داود، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا يحيى بن أبي بكير، حدثني ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، يعني: الأدب الصالح.

١٨ ـ أخبرنا أبو بكر، وثنا ابن أبي داود، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن بعض أصحابه، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، قال: علموهم، أدِّبوهم.

قال أبو بكر رحمه الله:

ألا ترون ـ رحمكم الله ـ إلى مولاكم الكريم يحثُّكم على تأديب نُفوسِكم وأهليكم.

= انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٨/ ٣٢٣).

فاعقلوا ـ رحمكم الله ـ عن الله عَزَّوَجَلَّ، وألزموا أنفسكم علم ذلك[(١)].

١٩ ـ ثم اعلموا ـ رحمكم الله ـ أنه يلزمُكم علمُ حالين لا بُدَّ منهما:

أ ـ علم معرفة النفس، وقَبيحِ ما تدعوكم إليه مما تهواه وتلذُّه، مضمرة لذلك، وقائلة وفاعلة، فواجب عليكم أن تزجروها عنه حتى لا تبلغوها ذلك.

ب ـ والحال الثاني: علم كيف السياسة لها؟ وكيف تُرَاض؟ وكيف تؤدَّب؟

فهذان الحالان لا بُدَّ لكلِّ مسلمٍ عاقلٍ أن يطلبَ علمَه حتى يعرفَ نفسَه، ويعرفَ كيف يؤدِّبها. [٦/أ]

قلت: فأما معرفة النفس وقبيح ما تدعو إليه، فقد تقدَّم ذكري له.

وأنا أزيدك في فضحتِها:

• هي جامعةٌ لكلِّ بلاءٍ، وخِزانة إبليس، وإليها يأوي ويطمئن.

• تُظهرُ لك الزُّهد وهي راغبة، وتُظهِر لك الخوف وهي آمَنة.

• تفرحُ بحُسن ثناءِ من جهلها بباطلٍ؛ فتحمُده وتُدنيه، ويثقُلُ عليها صِدقُ من ذمَّها بحقٍّ، نُصحًا منه لها؛ فتُبغضُه وتُقصيه.

وأنا أُمثِّلُ لك مثالًا لا يخفى عليك أمرها إن شاء الله:

اعلم أن النفس مثلها كمثلِ المُهْر[(٢)] الحسن من الخيل، إذا نظر إليه الناظر أعجبه حُسنُه وبهاؤه، فيقول أهل البصيرة به: لا يُنتفعُ بهذا حتى يُراضَ رياضةً حسنةً، ويؤدَّب أدبًا حسنًا، فحينئذٍ ينتفع به، فيصلحُ للطَّلبِ والهرب، ويحمد راكبه عواقب تأديبه ورياضته.

---

(١) انظر كتاب «الفقيه والمتفقه» (٢٢٨/١) (ما جاء في تعليم الرجال أولادهم ونساءهم).

(٢) المُهرُ: ولد الخيل.

فإن لم يُؤدَّب لم ينتفع بحُسنه ولا ببهائه، ولا يَحمد راكبُه عواقبه عند الحاجة.

فإن قَبِل صاحب هذا المُهر قول أهل النصيحة والبصيرة به، عَلِمَ أن هذا قول صحيحٌ فدفعه إلى رائضٍ فراضه.

ثم لا يصلح أن يكون الرائض إلَّا عالمًا بالرياضة، معه صبرٌ على ما معه من علم الرياضة.

فإن كان معه عِلمٌ بالرياضة ونصيحة؛ انتفع به صاحبه.

فإن كان الرائضُ لا معرفة معه بالرياضة، ولا عِلم بأدب الخيل؛ أفسد هذا [٦/ب] المُهْر، وأتعب نفسه، ولم يَحمد راكِبُه عواقِبَه.

وإن كان الرائضُ معه معرفة الرياضة والأدب للخيل إلَّا أنه مع معرفته لم يصبر على مشقَّةِ الرياضة، وأحبَّ الترفيه لنفسِه، وتوانى عما وجب عليه من النصيحة في الرياضة، أفسدَ هذا المُهر، وأساء إليه، ولم يَصلُح للطلبِ ولا للهربِ، وكان له مَنظرٌ بلا مُخْتَبَرٌ.

فإن كان مالكه هو الرائض له، نَدِم على توانيه يوم لا ينفعه الندم، حين نظر إلى غيره في وقت الطلب؛ قد طلب فأدرك، وفي وقتِ الهرب؛ قد هربَ فسلِمَ، وطلبَ هو فلم يُدرِك، وهرب فلم يَسْلم، كل ذلك بتوانيه، وقلَّة صبره بعد معرفته منه، ثم أقبل على نفسه يلومها ويُوبخها، فيقول: لم فرَّطتِ؟ لم قصَّرتِ؟ لقد عاد عليَّ من قِلَّة صبري كل ما أكره. الله المُستعان[1].

---

(١) وفي «محاسبة النفس» (١٤٤) عن سليمان التيمي قال: إن للعين نومًا وسهرًا، إذا عودتها السهر اعتادت، وإذا عودتها النوم اعتادت.

- وفيه (١٤٣) عن عبد الله بن المبارك: أن الحسن قدم مكة فلم يضع جنبه، ولم يطف، فلما أصبح قيل له؟!

قال: وجدت في نفسي فترة فكرهت أن أعودها الضجعة. =

اعقلوا ـ رحمكم الله ـ علم هذا المثل، وتفقَّهوا به تُفلحوا وتنجحوا.

٢٠ ـ وقد قلتُ في هذا المثل أبياتًا تشبه هذا المثل:

أُرى النفسَ تهوى ما تُريدُ ... وفي مُتابعتي لها عَطَبٌ شديدُ
تقول وقد ألحَّت في هواها ... مُرادي كلُّ ما أهوى أُريد
فأمنحها نُصحِي لكي تنزجر ... فتأبى وربي على ذي شَهيد
فإن أنا تابعتها ندمتُ ... وخِفتُ العقوبة يومَ الوعيد
فإن كنت للنفس يا ذا مُحبٌّ ... فقيد، ولو بِقَيْدِ الحديد
ورُضها رياضة مُهْرٍ يُراض ... بالسوط، والسوط سَوطٌ جديد
يمنعُه الرائضُ ما يشتهي ... يُريد بالمنع صَلاحًا وفَهمًا يَّريد
يحمده الراكب يوم اللقى ... والخيل في الحرب وجُهد جهيد

قال أبو بكر:

وقد رُوي في معنى ما قلت مِن هذه الأمثال آثارٌ[١] تدلُّ على ما قُلتُ، فأنا ذاكرُها؛ ليعتبرها من تدبَّرها.

٢١ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: سمعت أبا الحسن محمد بن أبي الورد يقول: قال وَهب بن مُنبِّه: النفسُ كنفوس الدواب، والإيمانُ قائدٌ، والعملُ سائقٌ، والنفسُ حَرُونٌ[٢]، فإن فترَ قائدها؛ حرُنت على سائِقها،

= قال ابن القيم رحمه الله «إغاثة اللهفان» (١/ ٨٢): وأضرّ ما عليه: الإهمالُ، وتركُ المحاسبة، والاسترسالُ، وتسهيل الأمور، وتمشيتُها؛ فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور: يُغمِض عينيه عن العواقب، ويُمشِّي الحال، ويتَّكل على العفو؛ فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب، وأنِس بها، وعَسُر عليه فطامها، ولو حضره رشده لعلم أن الحِمْية أسهل من الفطام وتركِ المألوف والمعتاد. اهـ.

(١) في الأصل: (آثارًا)، والصواب ما أثبته.

(٢) أي: لا تنقاد. يقال: فرسٌ حَرونٌ: لا ينقاد، كما في «الصحاح» (٥/ ٢٠٩٧).

وإن فترَ سائقها؛ ضلَّت عن الطريق[١].

٢٢ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو عبد الله بن محمد بن مخلد العطَّار، ثنا أبو الحسن[٢] علي بن إبراهيم بن عبد الجميد[٣] الواسطي، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو مقاتل ـ يعني: حفص بن سلم ـ، ثنا عون بن أبي شداد، عن الحسن، في وصيَّة لقمان لابنه: يا بُني، لا تنتفع بالإيمان إلَّا بالعقل[٤]، فإن الإيمانَ قائدٌ، والعمل سائق، والنفس حَرُون، فإن فترَ سائقها؛ ضلَّت عن الطريق، فلم تستقم لصاحبها، وإن فتر قائدها؛ حرُنت، فلم ينتفع سائقها، فإذا اجتمع ذلك استقامت طوعًا وكُرها، ولا يستقيم الدين إلَّا بالتطوع والكره، إن كان الإنسان كلما كَرِهَ من الدين[٥] شيئًا تركَه، أوشك أن

---

(١) ولفظه في «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٨٣) عن وهب بن مُنبِّه، قال: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يُغن ذلك شيئًا، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يُغن ذلك شيئًا، وإذا قاد القائد وساق السائق؛ اتبعته النفس طوعًا وكرهًا، وطاب العمل.

ـ وفيه (٨٧) عن عبد الله بن عُبيد بن عمير، قال: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حرون، فإذا وني قائدها لم تستقم لسائقها، وإذا وني سائقها لم تستقم لقائدها، فلا يصلح هذا إلَّا مع هذا حتى يقوم على الخير، الإيمان بالله مع العمل لله، والعمل لله مع الإيمان بالله.

ـ وفيه (٨٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعًا لهواه؛ فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعًا لعمله؛ فيومه يوم صالح.

(٢) في الأصل: (أبو الحسن)، والصواب ما أثبته كما في التراجم. انظر: «السير» (١٣/ ٩٠).

(٣) في الأصل: (عبد الحميد)، والصواب ما أثبته كما في التراجم في «تاريخ بغداد» (١٣١٧).

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (بالعمل) كما يدل عليه السياق.

(٥) في الأصل: (الدنيا)، والصواب ما أثبته.

لا يبقي معه شيءٌ من دين الله عَزَّوَجَلَّ، فلا تقنع لنفسك بقليلٍ من الإيمان، ولا تقنع لها بضعيفٍ من العمل، ولا [٧/ب] تُرخِّص لها في قليلٍ من معصية الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تعدها بشيءٍ من استحلال الحرام، فإن النفس إذا أُطمعت طَمِعت، وإذا أيستها أيست، وإذا أقنعتها قنِعت، وإذا أرخيتَ لها طغت، وإذا زجرتها انزجرت، وإذا عزمت عليها أطاعت، وإذا فوَّضت إليها أساءت، وإذا حملتها على أمرِ الله صلحت، وإذا تركت الأمر إليها فسدت.

فاحذر نفسك، واتهمها على دينك، وأنزلها منزلة من لا حاجةَ له فيها، ولا بُدَّ لك منها، فإنه لا حاجة لك في باطلها، ولا بُدَّ لك من تُهمتها، ولا تغفلها عن الزجر فتفسد عليك، ولا تأمنها فتغلبك، فإنه من قوَّم نفسه حتى تستقيم، فبالحري أن ينفع نفسه وغيرها، ومن غلبته نفسه فأنفُسِ الناس أحرى أن تغلبَه.

وكيف لا يضعفُ عن أنفُسِ الناس، وقد ضَعُف عن نفسه؟

وكيف يُؤمنُ على شيءٍ من الأنفُسِ، وهو مُتَّهم على نفسه؟

وكيف يهتدى بمن قد أضلَّ نفسه؟

وكيف يرجا من قد حَرُم حظَّ نفسه؟

يا بُنيَ ثقِّفهم بالحكمة، واستعن بما فيها، فإن وافقك الهوى أو خالفك فاصبر نفسك للحقِّ، وكن من أهل الحكم، فإن الحكيم يذل نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحقِّ، وإن الأحمق يخير نفسه في الأخلاق؛ فما أحبت منها أحبَّ، وما كرهت منها كره[١] [٨/أ].

قال أبو بكر:

اعقلوا ـ رحمكم الله ـ عن لقُمان الحكيم ما تسمعون، واعلموا أنه

---

(١) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٢) من طريق المصنف.

من لم يُحسِن أن يكون طبيبًا لنفسه، لم يصلُح أن يكون طبيبًا لنفسِ غيره، ومن لم يُحسِن أن يُؤدِّب نفسه، لم يُحسِن أن يؤدِّب نفس غيره.

واعلموا أنه من لم يعرف ما لله عَزَّوَجَلَّ عليه في نفسِه مما أمره به، ونهاه عنه، ولم يأخذ نفسه بعلم ذلك، كيف يصلح أن يُؤدِّب زوجته وولده، قد أخذ الله عَزَّوَجَلَّ عليه تعليمهم ما جهلوه.

ما أسوأ حال من توانى عن تأديبِ نفسه ورياضتها بالعلم، وما أحسن حال من عني بتأديب نفسه، وعلم ما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به، وما نهاه عنه، وصبر على مخالفة نفسه، واستعان بالله العظيم عليها.

٢٣ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا هارون بن عبد الله، ثنا سيار بن حاتم، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا حجاج بن الأسود القسملي، قال: سمعت قتادة يقول: يا ابن آدم، إن كنت تريدُ أن لا تأتي الخير إلَّا على نشاط، فإن نفسك إلى السآمة والفتور والكلل أقرب؛ ولكن المؤمن هو العجاج(١)، والمؤمن هو المتوقِّي، والمؤمن هو المتشدِّد، وإن المؤمنين هم الجآرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالليل والنهار، والله ما زال المؤمنون يقولون: ربنا، ربنا، في السرِّ والعلانية حتى استجاب لهم(٢).

---

(١) العَجُّ: رفع الصوت. «الصحاح» (١/ ٣٢٧).

(٢) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٢) من طريق المصنف.

ـ وفي «محاسبة النفس» (١١٤) عن عمر بن عبد العزيز قال: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس.

ـ وفيه (١٤٥) عن عبد الله بن المبارك، قال: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوًا، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلَّا على كرهٍ؛ فينبغي لنا أن نُكرهها.

وهذا آخر أثر وجدتُه من كتاب «أدب النفوس» للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

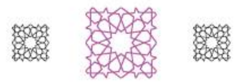
ملحق الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فقد وقفت على بعض الروايات من طريق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في باب أدب النفوس ولعلها في المفقود من هذا الجزء، فجمعتها وألحقتها بهذا الكتاب إتمامًا للفائدة وجبرًا لنقصه، والله المستعان.

وقد أفدت هذا ممن أخرج الكتاب، وأضفت عليه بعض الآثار.



١/٢٤ ـ حدثنا أبو بكر الآجري، قال: حدثنا عبد الله بن محمد العطشي، قال: حدثنا أبو يحيى العاقولي، قال: حدثنا الربيع بن روح، قال: حدثنا سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير، عن ابن البجير ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: أصاب النبي ﷺ يومًا جوع شديد، فوضع حَجرًا على بطنه، ثم قال: «**ألا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم، ألا يا رب متخوض متنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خلاق، ألا وإن عمل الجنة حزنة بربوة، ألا وإن عمل النار سهلة بسهوة، ألا رب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا**»[(١)].

٢/٢٥ ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، ثنا هارون بن عبد الله، ثنا سيار بن حاتم، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا مالك بن دينار، حدثني شيخ أدرك الصدر: أن نبيَّ الله ﷺ كان يعظ أصحابه، يقول: «**أرأيتم نفسًا إن نعَّمها صاحبها، وفنَّقها**[(٢)]**، وقاربها ذمَّته غدًا قُدَّام الله عز وجل، وإن خالفها، وأنصبها، وأبعدها؛ مدحتُه غدًا قُدَّام الله عز وجل؛ تيكم أنفسكم التي بين أجنبكم**»[(٣)].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣٨) من طريق المصنف.
ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٢٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٢٣). وفي إسناده: سعيد بن سنان، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث.

(٢) أي: نعَّمها. «تهذيب اللغة» (٩/ ١٥٤).

(٣) «أمالي» ابن بشران (١٤٥٥).

=

٣/٢٦ ـ حدثنا أبو بكر الآجري، قال: حدثنا بنان بن أحمد، قال: حدثنا هارون بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم يوم القيامة، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة][1].

٤/٢٧ ـ حدثنا الآجري، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الحميد، قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدثنا أبو عبيدة الناجي، أنه سمع الحسن يقول: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور، واقرعوا هذه الأنفس، فإنها طلعة، وإنها تنازع إلى شرِّ غاية، وإنكم إن تقاربوها لم تبق لكم من أعمالكم شيئًا، فتصبروا وتشددوا، فإنما هي ليال تُعد، وإنما أنتم ركب وقوف، يوشك أن يُدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحقّ أجهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحقّ من عرف فضله، ورجا عاقبته[2].

= رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٤٤)، ومن طريقه ابن الجوزي في «حفظ العمر» (ص١١)، وهو مرسل.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٦٢) من طريق مالك بن دينار، قال: قال رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو موقوف.

وروى أبو داود في «الزهد» (٤٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٢٤)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٥٩) عن الحسن، قال: قال أبو مسلم الخولاني: أرأيتم نفسًا إن أنا أكرمتها، ونعَّمتها، وودعتها، ذمتني غدًا عند الله، وإن أنا أسخطتها، وأنصبتها، وأعملتها ـ أو كما قال ـ رضيت عني غدًا.

قالوا: من تيكم يا أبا مسلم؟ قال: تيكم والله نفسي.

(١) «أمالي» ابن بشران (١٤٥٥).

(٢) «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٤٠).

٥/٢٨ ـ حدثنا الآجري، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا شعيب بن عبد الحميد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة]، قال: تندم على ما فات، وتلوم نفسها(١).

٦/٢٩ ـ وقال أبو بكر بن أبي داود، وثنا علي بن محمد، قال: ثنا وكيع عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، قال: لا يكون الرجل تقيًّا حتى يُحاسب نفسه محاسبته لشريكه(٢).

٧/٣٠ ـ قال الآجري: حدثني محمد بن أحمد بن هارون، حدثني إبراهيم، حدثني

= قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٤٠/ باختصار): محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما **النوع الأول**: فهو أن يقف عند أول همَّته وإرادته، ولا يُبادر بالعمل حتى يتبيَّن له رجحانه على تركه.

قال الحسن: رَحِمَ الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخَّر.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: مُحاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله؛ فلم تُوقِعها على الوجه الذي ينبغي.

وحقُّ الله في الطاعة بمراعاة ستة أمور قد تقدَّمت، وهي: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول ﷺ فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود مِنَّة الله عليه فيه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه: هل وَفَّى هذه المقامات حقَّها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يُحاسبَ نفسه على عمل كان تركُه خيرًا له من فعله.

الثالث: أن يُحاسبَ نفسه على أمرٍ مباح أو معتاد: لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؛ فيكون رابحًا فيه، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظَّفَرُ به. اهـ.

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٤٣).

(٢) «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٤٣).

علي بن عيسى، حدثني محمد بن الحسين، ثنا محمد بن عبد العزيز بن سلمان، قال: سمعت أبي يقول: كان حسان بن أبي سنان إذا بلغه شيء من المعاصي انتفض حتى يسقط، قال: ثم يقول: تُعصى بفنون من المعاصي، وتنعم بفنون من النعم، لا يفوتك أحد بطول هربه، ولا يعجزك عبد بقوته، أنت القادر القاهر فوق عباده.

قال: وكان يقول: بمحبَّتك التي بها مننت عليهم، فبها نالوا من طاعتك ما يرجون من رضوانك.

وكان يقول: أهل الدنيا فيها على وجل، لا هم مقيمون فيطمئنوا، ولا هم مستعدون ليرحلوا.

قال إبراهيم بن الجنيد: يقال: مهرُ الجنة فطام النفس من حُبِّ الشهوات، وإيثار حب الله على محبتك لنفسك[1].

٨/٣١ ـ أخبرنا أبو بكر، أنبأنا أبو حفص عمر بن سعد القراطيسي، حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا، حدثني محمد بن صالح القرشي، أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي، حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة، قال:

أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولًا إلى إليون طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام، فقال له عبد الأعلى: يا أمير المؤمنين، ائذن لي في بعض بني يخرج معي ـ وكان عبد الأعلى له عشرة من الذكور ـ.

فقال له: انظر من يخرج معك من ولدك.

فقال: عبد الله.

فقال له عمر: إني رأيت ابنك عبد الله يمشي مشية كرهتها منه، ومقته عليها، وبلغني أنه يقول الشعر.

فقال عبد الأعلى: أما مشيته تلك فغريزة فيه.

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٤٣).

وأما الشعر فإنما هو نواحة ينوح بها على نفسه.

فقال له: مر عبد الله يأتيني، وخذ معك غيره، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه، فاستنشده، فأنشده:

تَجهَّزي بِجهازٍ تَبلُغِينَ به ... يَا نفسُ قبَلْ الردى لم تُخلقي عبثا
ولا تكدي لمن يبقى وتفتقري ... إن الردى وارث الباقي وما ورثا
وأخشى حوادث صرف الدهر في مهل ... واستيقظي لا تكوني كالذي بحثا
عن مُدْيةٍ كان فيها قطع مُدَّته ... فوافت الحرث موفورًا كما حرثا
لا تأمني جمع دهر مترف ختل ... قد استوى عنده من طاب أو خبُثا
يا رب ذي أمل فيه على وجل ... أضحى به آمنًا أمسى وقد حدثا
مَن كان حِينَ تُصيبُ الشمسُ جَبْهَتَهُ ... أوِ الغُبَارُ يَخافُ الشَّينَ والشَّعَثَا
ويألَفُ الظِّلَّ كَي تبقى بشاشَتُه ... فكيفَ يسكُنُ يومًا رَاغِمًا جَدَثا
قفراء موحشة غبراء مُظلمة ... يُطيل تحت الثرى من قعرِها اللبثا(١)

٩/٣٢ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا العباس بن يوسف الشكلي، حدثني محمد بن الحسن بن العلاء البلخي، قال: قال يحيى بن معاذ الرازي: يابن آدم، حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحُفَّت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلَّا كالمريض الشديد الداء، إن صبرت نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عاقبة الشفاء، وإن جزعت نفسه على ما يلقى من ألم الدواء طالت به عِلَّته(٢).

١٠/٣٣ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، عن عبد المنعم، عن عبد الصمد، عن وهب: أن رجلًا من العُبَّاد قال لمُعلِّمه: قد قطعت الهوى، فلست أهوى من الدنيا شيئًا.

فقال له مُعلِّمه: أتُفرِّقُ بين النساء والدواب إذا رأيتهن معًا؟

---

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٠٥/ الفكر): هذه الأبيات ذكرها الآجري في «أدب النفوس»، وقال: وكان عمر يتمثل بها كثيرًا ويبكي.
(٢) «أمالي ابن بشران» (١٦٢٥).

قال: نعم.

قال: أتُفرِّق بين الدنانير والحصى إذا رأيتهنَّ معًا؟

قال: نعم.

قال: يا بُنيَّ، إنك لم تقطع الهوى عنك، ولكنَّك قد أوثقته(١).

١١/٣٤ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي المُقرئ، ثنا إبراهيم بن الجنيد، قال: وجدت هذه الأبيات على ظهر كتاب لمحمد بن الحسين البرجلاني:

مواعظ رهبان وذكر فعالهم ... وأخبار صدق عن نفوس كوافر

مواعظ تشفينا فنحن نحوزها ... وإن كانت الأنباء عن كل كافر

مواعظ بر تورث النفس عبرة ... وتتركها ولهاء حول المقابر

مواعظ إن تسأم لدى النفس ذكرها ... تهيج أحزانًا من قلب ثائر

فدونك يا ذا الفهم إن كنت ذا نهى ... فبادر فإن الموت أول زائر(٢).

(١) «الحلية» (٤/ ٦٥).

(٢) «الحلية» (١٠/ ١٥١).

هذا ما وقفت عليه من الآثار من كتاب أدب النفوس للآجري رحمه الله.

ولابن القيم رحمه الله في هذا الباب كلام متين حسن مبثوث في مصنفاته، فإن أدرت الوقوف عليه للإفادة منه فانظر:

«إغاثة اللهفان» (١/ ١٢٤ ـ ١٥٤)، و(٢/ ٩٥٠)، و«الوابل الصيب» (ص١٤٢)، و«طريق الهجرتين» (١/ ٨٠)، و(٢/ ٥٥١)، و«كتاب الروح» (٢/ ٥١١) وما بعدها فقد أطال في الكلام عن النفس وما يتعلق بها من مسائل ومباحث.

٣ ـ فهرس الفوائد العامة

٤ ـ فهرس أبواب الكتاب